جُمْهُورِيَّة الْعِرَاقِ

ديوانُ الوقفِ الشِيعي

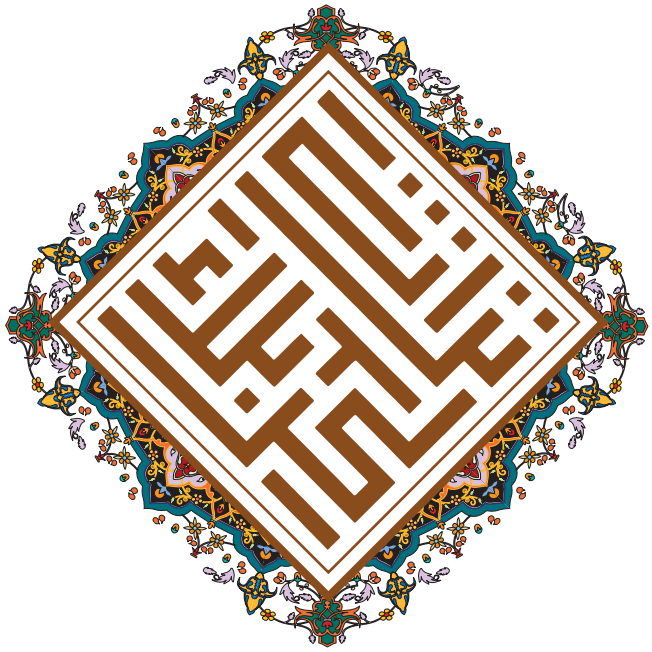

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السابعة/ المجلَّد السابع/ العددان الثالث والرابع (٢٥-٢٦)

شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/ كانون الأول ٢٠٢٠م

الاستدلال بالقرآن الكريم عند السيّد محمّد كاظم القزوينيّ في شرحه نهج البلاغة للإمام عليّ (عليه السلام)

Reasoning through Quran in Sayyed Mohammad Kadhim Al-Qizwini's Explanation of 'Nahj Al-Blagha'

أ.د. رَحِيم كَرِيم عليّ الشَّريفيّ

جامعةُ بابل /كُليّةُ العلومِ الإسلاميّة

أ.م.د. حُسَيْن عَليّ حُسَيْن الفَتْليّ

وزارةُ التربيّة/الكليّةُ التربويةُ –بابل

Prof. Dr. Raheem Kareem Ali Al-Sharifi

College of Islamic Sciences, University of Babylon

Asst. Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fatli

Open Educational College,

Babylon, Ministry of Education

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المُلخّصُ

سنتَناوَلُ في هذهِ المباحثةِ الاسْتِدْلَالَ القُرآنِيّ عِنْدَ عَلَمٍ مِنْ أَعلامِ الاماميّة عامَّة، ومِنْ أَعلامِ مَدينةِ كَرْبَلاء خاصّة، هو السيّد مُحَمّد كاظم القَزْوينيّ في شرحِهِ لِنَهْجِ البلاغةِ.

لا جَرَمَ أنَّ السيّد القَزْوينيّ قَدْ أَفادَ مِن المُعَجم القُرآني أَيَّما فائدة في جلّ نصوصِهِ، وهذه النصوصُ تمثّلُ منظومةً دينيةً _ لا نبالغُ إذا قلنا: إنَّها دينيةٌ خالصةٌ _ إذْ حازَ القربُ الإلهيّ فيها حَيِّزًا وَسِيعًا، إذْ ندَّ ذلكَ فِي استدلالاتِهِ في شرحِهِ النهجَ المباركِ، وقد تجلّى ذلكَ مِنْ نحو: المضامين الإلهيّة، والقوانين السماويّة، والثوابت العقديّة فيها، سواءٌ أكَانَت نصوصًا حرفيّةً(مباشرة)، أَم نصوصًا غير حرفيّةٍ(غير مباشرة)، أم مضامين ومعاني قُرآنيّة انسربتْ فيها.

وَبَدا لَنا – فِي ضَوْءِ ما وقفنا عليهِ فِي شرحِهِ للنَهج– أنّ البَحْثَ يجدرُ بهِ أنْ يكونَ فِي تمهيدٍ بعنوان: (مُحَمّد كاظِم القَزْوينيّ والاسْتِدْلَال القُرْآني) مؤشراتٌ تعريفيةٌ، و مبحثين، الأول بعنوان: (أَنساقُ الاسْتِدْلَال القُرْآني) في ظلِّ الاستدلالِ بجزءٍ مِن الآيةِ، وآيةٍ كاملةٍ، ومَقاطع(مجموعةٌ من الآياتِ)، والثاني حملَ عنوان: (مسالكُ الاستدلالِ القرآني) إذْ إنَّ المواضعَ التي استدل بها تمثل مظاهر ومعالم ومداخل لجوانب معرفيّة مختلفة، فالخِطابُ القُرْآني يَمُورُ في مَسَالِكَ عدة في شرح القَزْوينيّ لنهجِ البلاغةِ من نحو: المَسْلَك العقائديّ، والمَسْلَك الأَخلاقيّ والتربويّ، و المَسْلَك اللّغويّ، والمَسْلَك الفقهيّ وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الاسْتِدْلَال بالقرآنِ الكريم، مُحَمّد كاظم القَزْوينيّ، شرح نهج البلاغة.

Abstract

This research studies Reasoning through Quran as employed and functionalized by a notable Shia figure and scholar in Karbala; Sayyed Mohammad Kadhim Al-Qizwini, in his explanation of 'Nahj Al-Blagha'.

It is noteworthy that Al-Qizwini has made use of the Quranic lexicon in most of his religious texts, related to 'Nahj Al-Balagh', which are full with Divine intentions and rules, theological bases, whether (in)direct or Quranic forms and meanings merged into them.

Due to that, the research is divided into an introduction entitled (Mohammad Kadhim Al-Qizwini and Reasoning through Quran), and two sections. The first section, entitled (Systems of Reasoning through Quran), investigates reasoning via a part or the whole ayah, or even some ayahs. The second section is titled (Methods of Reasoning through Quran). It handles the positions of reasoning, its features, its whole identity, its methods (theological, ethical, instructive and informative, linguistic, jurisprudence, etc.).

Key Words: Reasoning through Quran, Mohammad Kadhim Al-Qizwini, Explanation of 'Nahj Al-Blagha'.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المُقدِّمَةُ

الحَمْدُ لله ربِّ العالمينَ، الذي دَلّت آلاؤُهُ ونَعْمَاؤُه على عظمتِهِ وعِزّتِهِ، وصلّى اللهُ على البشيرِ والنذيرِ محمدٍ وعلى آلِهِ أدِلّةِ الخيرِ والفلاحِ والرشادِ.

أما بَعْدُ، فإن القُرْآنَ يمثّلُ دائرةً اسْتِدْلَاليّةً عظيمةً لما لهُ من صفاتِ الخلودِ، والتكامُل، والإعجازِ والتجدّدِ، فهو كتابُ الله الخالد الذي لا يأتيه الباطلُ من بَيْنِ يَدَيهِ ولا من خَلْفِهِ، وهو تِبيانٌ لكلّ البشرِ.

وقد حظيت التعالقات النَّصية القرآنيّة فِي المدونات الّتي تُعنى بالنّصوصِ الدينيةِ بأَهميةٌ كبيرةٌ لانّها تُعَدُّ نصوصًا مطلقةً فِي التكامل إنْ عقائد وإنْ عبادات ومعاملات وإنْ أَخلاقًا وقيمًا تربوية فضلًا عن كونها نصوصًا مُؤَسِّسَة لما لَها من قابليةِ تأسيسِ النُّصوصِ وتوليدِها فكلّ النّصوص تبع لها وتمتحُ من معينِها ونميرِها.

ويعد القرآن الكريم مرجعًا مهمًا من مرجعيات السيّد القَزْوينيّ وقد استحضر ذلك في شرحه للنَّهج، فكانت الألفاظ والأفكار والأساليب القرآنية واضحة عنده مستثمرًا قراءته العميقة لكتاب الله العزيز، وهذا الأمر يثير في المتلقي الإعجاب والتأمل، وقد تجلّى ذلكَ مِنْ نحو: المضامين الإلهيّة، والقوانين السماويّة، والثوابت العقديّة فيها، سواءٌ أكَانَت نصوصًا حرفيّةً(مباشرة)، أَم نصوصًا غير حرفيّةٍ(غير مباشرة)، أم مضامين ومعاني قُرآنيّة انسربتْ فيها.

وبعد قراءة الشَّرح وجمع المَّادة، شرعنا بوضع خطة البَّحث، فجاء بتمهيدٍ عنوانه: (مُحَمّد كاظِم القَزْوينيّ والاسْتِدْلَال القُرْآنيّ) مؤشراتٌ تعريفيةٌ، و مبحثين،

الأَوَّلُ بعنوان: (أَنساقُ الاسْتِدْلَال القُرْآنيّ) في ظلِّ الاِسْتِدْلَالِ بجزءٍ مِن الآيَةِ وآيةٍ كاملةٍ، ومَقاطع(مجموعة من الآياتِ)، والثَّانيّ حملَ عنوان: (مسالكُ الاِسْتِدْلَالِ القرآنيّ) إذْ إنَّ المواضعَ التي استدل بها تمثُل مَسَالِك، فالخِطابُ القُرْآنيّ يَمُورُ في مَسَالِك عدة في شرحِ القَزْوينيّ لنهجِ البلاغةِ من نحو: المَسْلَك العقائديّ، والمَسْلَك الفقهيّ، والمَسْلَك الأَخلاقيّ والتربويّ، و المَسْلَك اللّغويّ، وغيرها.

وآخر دَعْوانا أنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمين، وصلّى الله عَلى مُحَمّدٍ وآلهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

التمهيد: (مُحَمّد كاظِم القَزْوينيّ، والاسْتِدْلَال القُرْآني) مؤشراتٌ تعريفيةٌ

أولًا: مُحَمّد كاظِم القَزْوينيّ(١٣٤٨ هـ – ١٤١٥ هـ)[1]

السيد مُحَمّد كاظِم بن مُحَمّد إبراهيم بن مُحَمّد هاشم بن مُحَمّد علي بن عبد الكريم الموسويّ الحائريّ. من خطباء كربلاء وأعلامها قد يُعَبّر عنه أحيانًا بلقب العلّامة القَزْوينيّ، وكذلك عَبّر عنهُ بعضُ الكُتّاب والمؤلفين بلقبِ سيّد خُطباء كربلاء.

وُلِد في كربلاء في ١٢ شوال ١٣٤٨ هـ في أُسرةٍ علميّةٍ محافظةٍ، وأَسّسَ رابطةَ النشر الإسلاميّ في المدرسةِ الهنديّة، وهاجَرَ إلى بلدانٍ مختلفةٍ للتبليغِ، وفي عام ١٤٠٠هـ هاجَرَ إلى قُم وأسْهَمَ في رفد المكتبةِ الإسلامية بالمؤلفات فترك لنا كتبًا قيّمة في السيرة والتاريخ والحديث وما أشبه، مِنْ أَهمِّها: موسوعةُ الإمام الصادق عليه السلام، وسلسلة كتب من المهد إلى اللّحد في سير عدد من الأئمة عليهم السلام، فضلًا عن كتابي فاطمةِ الزهراءِ عليها السلام، وزينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، زِدْ على ذلك أنّه كانَ ناظِمًا للشعر العربي.

تُوفّي في قم المقدسة ودُفن فيها سنة ١٤١٧ هـ، وبحسب وصيّته نُقل جثمانه -عندما سمحت الظروف- بعد ١٧ عامًا على وفاتهِ ليُدفن في كربلاءِ المقدسة.

ثانيًا: الاسْتِدْلَالُ القُرآنيّ

الاسْتِدْلَالُ: مصدر الاسْتِفْعَال بزيادة ثلاثة أحرف(الهمزة والسين والتاء) مِنْ طَلَبِ الدَّلِيلِ وَالطَّرِيقِ المُرْشِدِ إِلَى المَطْلُوبِ، ومن الكلماتِ ذات الصلة

بالاستدلال(البُرهانُ، والدَليلُ، والحِجاجُ، والاستشهادُ)، والاسْتِدْلَالُ: «طلبُ الدَّلِيلِ وَيُطلقُ فِي الْعُرفِ عَلى إِقَامَة الدَّلِيل مُطلقًا من نَصٍ أَو إِجْمَاعٍ أَو غَيرِهِمَا، وعَلى نوعٍ خَاص من الدَّلِيل وَقيل: هُوَ فِي عُرفِ أَهل الْعلمِ تَقْرِير الدَّلِيل لإِثْبَات الْمَدْلُول سَوَاء كَانَ ذَلِك من الْأَثَر إِلَى الْمُؤثر أَو بِالْعَكْسِ»[٢].

ومِنْ أَجلِ الوقوفِ عَلى(الاسْتِدْلَال القُرآنِيّ) بوصفهِ مركّبًا وصفيًّا، لابُدَّ أنْ نقفَ عَلى مَعْنى القرآن في اللّغة، قال الراغبُ الأصفهانيّ: «والقرآنُ في الأَصلِ مصدرٌ، نحو: كُفْرَان ورُجْحان قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٣] وفي بيان دلالة النص، قال ابن عبّاس: إذا جَمَعْنَاه وأَثْبَتْنَاه في صدرك فاعمل به، وقد خصّ بالكتاب المنزل على محمّدصلى الله عليه وآله وسلم، فصارَ لَهُ كالعلمِ كما أنَّ التوراة لمّا أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسىعليهما السلام. قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتبِ الله لكونِهِ جامعًا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٥]، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٦] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ﴾[٧]، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾[٨]، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[٩] أي: قراءته، ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[١٠]، وأقرأت فلانًا كذا. قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[١١]، و تَقَرَّأْتُ: تفهّمت، و قَارَأْتُهُ: دارسته»[١٢].

ويتجلّى لنا في ظلّ نصّ الراغب الأصفهانيّ أنَّه أشارَ إلى مجموعةٍ مِن الدلالاتِ التي لها صلةٌ وثقى بالقُرْآن، منها الجَمْعُ، والقِراءةُ، والمدارسةُ.

وقد تحقّق المصطفويّ- في ضوءِ استقرائِهِ المعجمات اللّغوية - أنَّ القرآنَ «مصدرٌ جُعِلَ اسمًا للكتابِ المنزلِ على النبيّصلى الله عليه وآله وهذهِ التسميةُ بلحاظِ أنَّه يقرؤه الرّسول، ويقرؤه الناس: وليس شيءٌ غيرهُ تكون لَهُ هذه الخصوصيّة الثلاثة:

أمّا ما قرأه الله ﷻ، فيقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(١٣)، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾(١٤)، فالقرآنُ في هذهِ المرتبة في لوحٍ محفوظٍ عندَ الله تعالى، وهو اللّوحُ الظاهرُ فيهِ ما يقتضي ويقدّر من الأَحكامِ والحقائقِ، وهو لوحةٌ من علمِ الله المحيط يفسّرها القرآنُ ويتجلّى فيهِ، والقارئُ لها هَوَ اللهُ ﷻ، وهو ينزلُ على لوحٍ على قلب النبيّ الأكرم ﷺ، و يأخده بقلبه ويراه رؤية الشهود والحضور»(١٥).

لذا نخلصُ إلى حقيقة اشتقاقِ القرآن: «وهي أنَّ كلمةَ القرآنِ مأخوذةٌ من مادةِ القراءةِ، لا مِنْ قَرَى، ولا شيءَ غيرُهُ يتصفُ بالقراءةِ بمراتبها التي ذكرناها، بألفاظِها ومعانِيها، ولا توجد خصوصية فيهِ لمفهوم القرى والتجمع»(١٦).

أمّا في الاصطلاح، فلا يختلفُ اثنان في أنّ القرآن الكريم هو كلامُ الله ﷻ، وأنَّه غيرُ كلامِ البشرِ، هذه الحقيقةُ الراسخةُ جعلتْ مِن تعريفاتِ العلماءِ للقرآنِ الكريمِ في الاصطلاحِ ذات منطلقٍ واحدٍ رئيس، قالَ الشريفُ الجرجانيّ(ت٨١٦هـ): «هو المنزّل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شُبْهة، والقرآن عند أهل الحقّ هو العلم اللّدُنيّ الإجماليّ الجامع للحقائق كِلّها»(١٧).

القُرآن الكريم أفضلُ وأفصحُ كلامٍ عربيّ وتتجلّى فصاحته في إيجاز لفظه،وإعجاز معناه وهو النصّ الوحيد الموثوق، لأنّه لم يدخله الوضع أو التحريف أو التزوير. وقد نُقل نقلًا متواترًا لذلك عُدّ المصدرُ الأوّل والأفضل للدراسات النحويّة واللّغويّة، وقد اتفقتْ آراءُ العلماءِ، وأئمةُ النحو على اختلافِ مذاهبِهم النحويّة على أَنَّه الينبوعُ الصافيّ والمعينُ الذي لا ينضبُ للشّواهد الصحيحةِ الفصيحةِ، قَالَ عبدُ العظيم الزرقانيّ: «بأنّه الكلامُ المُعْجِزُ المنزّل على النبيّ ﷺ المكتوبُ في المصاحفِ، المنقولُ بالتواترِ، متعبّدٌ بتلاوتِهِ»(١٨).

بعد هذا المتقدّم نستطيعُ القول: إنّ الاستدلالَ القرآنيَّ هو الدليلُ والحاضرُ والمثالُ في تقديرِ الحقيقة المراد إثباتها واستجلاؤها، و الاستدلالَ القرآنيَّ تميّز عن غيرِه من الاستدلالاتِ؛ لأنَّ مُنْتِجَ هذه النصوص هو القرآنُ الكريمُ، وهو سيّد الكتبِ السماوية، و سيّدُ النصوصِ. و هو أُنزل بأَرقى لغةٍ، وأَعذب أُسلوبٍ ممّا يجعل الاستدلال بكلمةٍ منهُ جواز المرور لمثيلتها مِنْ كلامِ العربِ، والاستدلالِ بتركيبٍ مِنْهُ رائدًا لغيرِه مِن تراكيبِ العربِ.

وقد بانَ الأَثَرُ الحقيقيّ المبكر للاستدلال القرآني في الكلامِ العربي على لسانِ نبيّنا محمّدﷺ، والإمام عليّ(عليه السلام)، والأئمة المعصومين(عليهم السلام)، ثمّ تجلّى هذا الأثرُ المقدّسُ في كلامِ مَنْ جاءَ بعدهم من الأولياءِ والعلماءِ والباحثين والدارسين.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المبحثُ الأولُ: أَنساقُ الاسْتِدْلَال القُرْآني

لا رَيْبَ أنَّ شرحَ نهجِ البلاغةِ للسيِّد مُحمّد كاظِم القَزْوينيّ قد تعالقت في الكثير من التناصات القرآنية ومن البديهي أن هذه التعالقات والاستدلالات تمثّل كيفية اصطفاء الآيات القرآنية المناسبة للموضوع، فهي تمثّلُ إعلامًا فعّالًا يعطي قوةً وزخمًا وإنجازًا وتأثيرًا في نفوسِ المتلقّين، فضلًا عن ذلك يزوّد النصّ بمقبوليّة حجاجيّة لها وقعها في المخاطَبين.

ومِنْ هنا سعينا – في ضوءِ جمعِ الآيات القرآنية من الشرحِ المباركِ – إلى تناولِ أَنساق الاستدلالِ القرآني وأنماطِهِ عندَ السيّد القَزْوينيّ الذي سيكونُ كالآتي:

أولًا: الاستدلالُ بجزءٍ من الآيةِ القرآنية

أوّل ما يلقانا من استدلالات حجاجيّة قرآنيّة عند السيّد القَزْوينيّ: الاستدلال بجزء من الآيةِ القُرآنيّة، إذْ لا يخفى أنَّ هذا الاقتطاع الحجاجيّ القرآنيّ أمارة عن حفظه ودقّته في اقتناصِ الشّاهد مهما قصر، وهو يكشف عن قوة استدلاله وإصابتِهِ المعنى المراد تبيانُهُ.

في هذا المطلبِ نذكر بعض الاستدلالات المتعلقة بجزءٍ مِنْ الآيةِ في شرحِ نهجِ البلاغَةِ للسيِّد القَزْوينيّ:

١ .قَالَ تَعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(١٩).

استشهدَ السيّد القَزْوينيّ بهذا الجزء مِن الآيةِ في معرض شرحِهِ لقولِ الإمام عليه السلام: (وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ) فإنَّ كلَّ فردٍ من الناسِ لا يستطيعُ أَنْ يعدَّ ما أنعمَ اللهُ عليهِ، لا النعم العمومية فقط كالعناصر الأربعة: الماءُ و الهواءُ و

النارُ و الترابُ و كالسحابِ و الريحِ و الشمسِ و القمرِ و الكواكبِ و الأَفلاكِ و سائرِ الأَشياء ، فالسحابُ و الريحُ و القمرُ و الشمسُ و الفَلَكُ كلُّها تعملُ و تشتغلُ حَتّى يحصل لكَ رغيف من الخبزِ و لا تأكلهُ غافلا[٢٠].

إذْ استدلَّ القَزْوينيّ بهذا الجزء من الآية؛ لبيان أنَّ الإنسان مهما بالغَ في شكر المواهب لهذه النعم فإنّهُ يكون مقصّرًا، فهذه النعم العظيمة لا تُجازى بأي شُكْرٍ، وهذا ما أَشار إليهِ الفخر الرازي(ت ٦٠٤ هـ)، قال: «إنَّ العبدَ لا يمكنهُ الإتيانُ بعبادةِ الله تعالى وشُكْرِ نِعَمِهِ والقيام بحقوقِ كَرَمِهِ على سَبيلِ الكَمَالِ والتَّمام، بل العبدُ وإنْ أتعب نفسهَ في القيام بالطاعاتِ والعباداتِ، وبالغَ في شُكْرِ نِعَمِة الله تعالى فإنَّهُ يكون مقصّرًا؛ وذلك لأنَّ الاشتغالَ بشُكْرِ النِّعَمِ مشروطٌ بعلمِهِ بتلكَ النِّعمِ على سبيلِ التَّفصيلِ والتَّحْصِيلِ»[٢١].

فهذهِ النِّعمُ العموميةُ كلُّها اشتركت في رغيفٍ واحدٍ يأكلُهُ أحدُنا مرةً واحدةً، إلى غيرِ ذلكَ مِن الفواكهِ و الأَثمارِ و الحيوانِ و النباتِ، فلا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يحصي ما أنعمَ الله عليهِ من النّعمِ الخصوصيةِ الضرورية كالحياةِ و الصحةِ و الأَمن، و سلامةِ الجوارحِ، و الرزقِ و الأَهلِ و القوةِ و القُدرةِ و غيرِها[٢٢]، ومعنى الآية المستدّل بها: «وإنْ تروموا عدّها بقصدكم إليه لا تحصوها لكثرتها ويروي طلق بن حبيب أنّه قال: إنَّ حقَّ الله أثقل من أنْ تقوم به العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أنْ يحصيها العباد، ولكن أَصبحوا توابين، وأمسوا توابين»[٢٣].

ويرى ناصر مكارم الشيرازيّ أنَّ الأئمة عليهم السلام يتطرّقون في أقوالهم وأدعيتهم ومناجاتهم إلى النعم الإلهية ويعدّون جوانب منها عبادة لله وتذكيرًا ودرسًا للآخرين[٢٤]. وهذا ما استشرفناهُ في كلام الإمام عليّ عليه السلام.

٢. قَالَ تَعَالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢٥]

في هذا النَّصِّ الذي جاءَ جزءًا من قولهِ تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ استدَّلَ به القَزْوينيّ لقولِ الإمامعليه السلام: (أَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قبلَ يَومِ بُؤسِهِ) أي أَلا يوجدُ مَنْ يعمل لأجلِ تعمير آخرته، لا آخرة غيره؛ لأنَّ نتائجَ الأعمالِ تعودُ إلى نفسِ العاملِ لها؛ لأَنَّ يومَ القيامةِ للمطيعِ التقيّ يوم نعيمٍ و فرحٍ و سرورٍ، و للعاصي يوم بؤس، و البؤسُ: الشدةُ و سوءُ الحالِ من الحزنِ و الضُرِ و الخَوْفِ مِن الحِسابِ و العذابِ، بخلافِ النعمةِ و الرخاءِ و الرفاهيةِ[٢٦].

ومعنى الآيَة المُسْتدَلُ بها: «(إِنْ أَحسَنتُم) أي فعلتم الأفعال الحسنة من الإنعام الى الغير، و الأفعال الجميلة الّتي هي طاعة(أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم)، لأنَّ ثوابَ ذلك و اصل إليكم(وَ إِنْ أَسَأْتُم) إلى الغير و ظلمتموه(أَسأتم) لأنفسكم؛ لأنّ و بال ذلك و عقابه و اصل إليكم، و إنّما قال(فلها) ليقابل قوله أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم، و المعنى إنْ أسأتم فإليها، كما يقال: أحسَنَ إلى نفسه ليقابل أَسَاءَ إلى نفسِهِ، على أنَّ حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض إذا تقاربت معانيها»[٢٧].

وقد توسّعَ الفخر الرازيّ في بيان المقابلة الواردة في النصّ القرآنيّ عارضًا ثلاث مسائل لها –وتوافق معهُ القَزْوينيّ – منها: أنَّ العقولَ قرّرت أنَّ الإحسانَ إلى النفسِ حسنٌ مطلوبٌ وأنَّ الإساءة اليها قبيحة، و ثانيًا: إنَّ الإحسانَ بابٌ وسيعٌ في فتح الْخَيْرَاتِ والطاعات وَالْبَرَكَاتِ، وثالثًا: إنَّ رحمةَ الله تعالى غالبةٌ على غضبهِ بدليلٍ أنّه(جلّ جلالهُ) كرر الفعل(أحسنتم) مرتين[٢٨].

ولا يخفى أنَّ هذه المعانيّ مجموعة تنضوي تحت كلام أمير المؤمنينعليه السلام المذكور

آنفًا وتكشف أنَّ الإحسانَ مجلبةٌ للنفس الإنسانية في الدنيا والآخرة، في الدنيا تزكيتها وفي الآخرة تعميرها، وهي سنةٌ ثابتةٌ إذْ إنَّ محصّلة ما يعمل الإنسان من سوء أو خير هو لنفسهِ.

٣. قَالَ تَعَالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[٢٩].

استدلّ السيد القَزْوينيّ بهذا النصّ على قول الإمام عليه السلام: (وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ) مبيّنًا قيام البيّنةِ و البرهانِ على أنّهم ارتكبوا الجريمةَ، فإنْ كانَ هذا الأمر خفيًّا على الناس فهو غير خفيٍّ على الله تعالى، و الله يعلمُ حقائقَ الأُمورِ، و يعرفُ القاتلَ من البريء و لعلَّ هذه الآية كافيةٌ بجوازِ قتالهم بل وجوبه فضلًا عن ذلك أنّ النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله أخبر الإمام عليًّا عليه السلام أنّه سيقاتل طائفة من الناس، إذْ قال: (يا عليّ ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين و المارقين)[٣٠].

ومعنى الآية المستدل بها «﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ بأن تطلب ما لا يجوز لها، وتقاتل الأخرى ظالمة لها، متعدية عليها﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ لأنّها هي الظالمة المتعدية دون الأخرى(حتى تفئ إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى طاعة الله، وتترك قتال الطائفة المؤمنة»[٣١].

نَلْمَحُ أنَّ الاستدلال القرآنيّ بجزء من الآية في تبيان مَنْ يجب جهادهُ من أهل البغيّ، وهم البغاة على إمام المسلمين منْ أهل الإسلام، إذْ أشار العلامة الحليّ(ت ٧٢٣هـ) إلى أنَّ الآية المباركة حجةٌ ومصداقٌ لإمامة علي عليه السلام الحقة، وإنّه إمام التأويل: «فلما نزلت هذه الآية قال رسول صلى الله عليه وآله: إنَّ منكم من يقاتل خاصف النعل يعني أمير المؤمنين عليه السلام قال عمار بن ياسر: قاتلتُ هذه الراية مع رسول

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

اللهﷺ ثلاثا وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغون السعفات من هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنَّهم لعلى الباطل»[٣٢].

وتنبّه محمد حسن النجفي(ت ١٢٦٩هـ) إلى هذه الإلماحة في قتال أهل البغيّ وحقية إمامة عليّ، قال: «وقد بشّر النبيﷺ أمير المؤمنين بمباشرة قتالهم أجمع من بعده(...) وإنّهُ الذي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيلهِ وعن علي أنّه قال: «أمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ففعلت ما أمرتُ»[٣٣].

ثانيًا: الاستشهاد بآية قُرْآنيّة كاملة

في هذا المطلبِ سيتمُ الحديث عن الاستدلالِ بآيةٍ كاملةٍ في شرحِ النهج للقزويني ّ، ومن الشواهد القُرْآنيّة التي جاءت في هذا النسق ما يأتي:

١ .قَالَ تَعَالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٣٤].

جاءَ الاستدلالُ بهذهِ الآيةِ المباركةِ على كلامِ الإمام عليّ: (وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ).

لا جَرَمَ أنَّ هناكَ فروقًا دلالية بين السَهوُ و الغَفْلةُ و النسيانُ وهي كلماتٌ متقاربةُ المعنى مع فرقٍ يسيرٍ قال أبو الهلال العسكريّ «إنَّ الْغَفْلَة تكون عَمَّا يكون، والسهو يكون عَمَّا لَا يكون،تَقول: غفلت عَن هَذَا الشَّيْء حَتَّى كَانَ وَلَا تَقول: سَهَوْتُ عَنهُ حتى كَانَ لِأَنَّك إِذا سَهَوْت عَنهُ لم يكن وَيجوز أَن تغفل عَنهُ وَيكون، وَفرق آخر أَن الْغَفْلَة تكون عَن فعل الْغَيْر تَقول كنت غافلًا عَمَّا كَانَ من فلَان وَلَا يجوز أَن يسهى عَن فعل الْغَيْر»[٣٥]، و كلُّها من توابعِ بعضِ الحواسِ الخمسةِ الباطنةِ فيصحُّ سلبها عن الملائكةِ لعدِم وجود تلكَ القوى في

الملائكةِ، و أمّا فَتْرة الأبدانِ أي الضعفِ أَو التعب أَو القصور عن العملِ فهي مِنْ لوازمِ البدنِ الحيوانيّ المركبِ[٣٦]، واستدلَّ -مشيرًا إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ صرّحَ بذلكَ - بقولِهِ تَعَالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٣٧].

ومعنى الآية المستدل بها: «أيّ ينزهونه عمّا أضافه هؤلاء الكفار إليه مِنْ اتخاذ الصاحبة والولد، وغير ذلك من القبائح(لا يفترون) أَي يملّونه فيتركونه بل هم دائمون عليه»[٣٨].

٢. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾[٣٩].

استدلّ القَزْوينيّ بهذه الآية المباركة على كلام الإمام علي عليه السلام: (ولبئس المتجر أنْ ترى الدنيا لنفسك ثمنًا، وممّا لك عند الله عوضًا)، فإنَّ الإنسان يكون عوضهُ من الله الدنيا فقط، ولا يكون له آخرة[٤٠].

وهذا الاستدلال استدلال واعٍ وباصرٌ، والمعنى «أَنَّ هَذَا الْفَرِيقَ الَّذِي يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَقَطْ قَدْ نُعْطِي بَعْضَهُمْ بَعْضَ مَا يُرِيدُ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَتِنَا وَإِرَادَتِنَا لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَلَا يخلو أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَ لَهُ بَعْضُ مَا يَرْغَبُهُ مِنْ لَذَّاتِ الدُّنْيَا»[٤١].

وَفَطنَ الطباطبائي إلى أثرِ السياق في توجيه المعنى في النص القرآنيّ، إذْ يرى أنَّ العاجلةَ صفةٌ محذوفة الموصوف ولعلَّ موصوفها الحياة بقرينة مقابلتها للآخرة في الآية الآتية وهي الحياة الآخرة في قوله تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا»[٤٢]، فالذي يريدُ الحياة العاجلةَ وهي الحياة الدنيا الزائلة، وما فيها من متاعٍ ولذائذ أسْرَعْنا في إعطائهِ ما يريدُهُ في الدنيا، لكن لا بإعطائهِ ما يريدُهُ بل بإعطائه ما نريدُهُ،فالأمرُ إلينا لا

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

إليهِ والأثر لإرادتنا لا لإرادته[٤٣].

وأشار ناصر مكارم الشيرازي إلى نكتةٍ طريفةٍ في الآية المباركة، بـ«أنَّ مَنْ يسعى إلى الدنيا ومظاهرها ومباهجها ويجعل همّه الحصول على كلّ ما يريد بأنّهُ مقيّد بشرطين، الأول: سيحصل على جزء ممّا يريده، وأنَّ هذا الجزء هو المقدار الذي يريدهُ اللهُ تعالى، والثاني الذي يقيد رغبة الساعي إلى الدنيا، فهو: أنَّ الأشخاص كافةً – رغم سعيهم الدنيويّ – لا يحصلون على هذا المقدار، وإنَّما قسم منهم سيحصل على جزءٍ من متاع الدنيا، وهذا معنى قوله ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾»[٤٤].

ثالثًا: الاستدلالُ بمجموعة من الآياتِ

في هذا المطلب سنتحدثُ عن الاستدلالِ بمجموعة من الآياتِ في شرحهِ المبارك:

١ .قَالَ تَعَالى: ﴿يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٤٥].

استدل السيِّدُ القَزْوينيّ بهذه الآيات المباركات أزاء خطبة الإمام عليه السلام التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وصفة آدم من جهة، وإنَّ العلّم يُعْطى للنبيّ وهو في المهد، فلا غرابة أنْ يُعْطَى للإمام وأنْ يكونَ إمامًا قبل ولادتهِ ويوم ولادتهِ، قال القَزْوينيّ: «إنَّ عِلمَ أَمير المؤمنين عليه السلام على أنواع كثيرة، و المقصود مِن هذا التنوع هو تنوع مدارك علومه، و أسباب حصولها، أو كيفية تحصيلها، و ليسَ المقصودُ تنوع نفس العلم كعلم الفقه، و النجوم و الحساب و أمثالها...و

ليس هذا بعجيب: فانَّ عيسى(عليه السلام) لمّا ولدته أمه، و حملته و جَاءَتْ بِهِ إلى قومها قالوا ﴿يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي أشارت مريم الى عيسى و هو نائم فى المهد، أشارت اليه أن اسألوا هذا الطفل. ﴿قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فاذا جازَ أنْ يكونَ الطفل يوم ولادته نبيًا، و أنْ يؤتيه الله الكتاب و هو صبيّ، فما المانعُ أنْ يكونَ الإمام إمامًا يوم ولادته ؟ فيكون علمُهُ كعلمِ الأنبياءِ؛ لأنَّ الامامةَ تاليةٌ للنبوة»[٤٦].

وقد أَلمح الطباطبائي إلى هذا المبدأ العقدي في كون الأرض لا تبقى يومًا واحدًا بغير حجةٍ لله على الناس إمامًا في ظل الروايات التي حشدها لتقريبِ هذا المبدأ وإقرارِه[٤٧].

ولم يُلمح ناصر مكارم الشيرازيّ إلى هذا المبدأ وإنّما أشار إلى قضية تكلم المسيح في المهد، وولادة عيسى(عليه السلام)، ومنزلة الأمّ، وإنجاب البكر، وتبيان كيفية تكلم الصبيّ[٤٨].

٢. قَالَ تَعَالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤٩].

واستدل السيّد القَزْوينيّ على قولِ الإمام(عليه السلام): (يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ) شبَّه الإمام(عليه السلام) الحجَّ بالتجارةِ أَو بمحلِها، و شبَّه الحجَّاجَ بالتُّجَّار الذين يحضرونَ السوق لجلبِ المنافِعِ و كسبِ الأَرباحِ و لَقَد وَرَدَ مثل هذا في القرآن الكريم بقوله عز و جل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فعبادةُ الله تعالى تجارةٌ مربحةٌ و ربحُهَا الثوابُ الأَبديّ، و الخلاصُ من النارِ و العذابِ(٥٠).

وأشار الطاهرُ بنُ عاشور إلى الجانب البلاغيّ في الآية المباركة، وهو ما تنبّه له القَزْوينيّ قال: «وَأُطْلِقَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَفْظُ التِّجَارَةِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ لِمُشَابَهَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ التِّجَارَةَ فِي طَلَبِ النَّفْعِ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ وَمُزَاوَلَتِهِ وَالْكَدِّ فِيهِ... وَوَصْفُ التِّجَارَةِ بِأَنَّهَا تُنْجِي مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تَجْرِيدٌ لِلِاسْتِعَارَةِ لِقَصْدِ الصَّرَاحَةِ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ لِأَهَمِّيَّتِهَا»(٥١).

وقد أخذ الايمان والجهاد في الآية تجارة رأس مالها النفس وربحها النجاة من عذاب أليم، وقد فخّم تعالى أمر هذه التجارة إذْ قال: (على تجارة) أي تجارة جليلة القدر عظيمة الشأن، وجعل الربح الحاصل منها النجاة من عذاب أليم لا يقدر قدرُهُ(٥٢).

ويبدو أنَّ القَزْوينيّ قد فَطَنَ إلى هذه المعاملة التجاريّة الرابحة، أنَّ العرض التجاريّ النافع يعود الى المؤمنين بالفائدة بدليل قول الإمام علي عليه السلام: (يحرزون الثواب والجزاء).

٣. قَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٥٣)، ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٥٤)، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٥٥)، ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٥٦).

استدل السيِّد القَزْوينيّ بهذه الآيات المباركات على قول الإمام عليه السلام: (رجلٌ وكلَهُ اللهَ إلى نفسِهِ) «فانَّ الانسانَ إذا رأى الهدى فلم يتبعه تركه سبحانه وشأنه ولا يلطف به الألطاف الخفية الموجبة لعونه ومدده، كما أنَّ الأب إذا أعرض ولده عن إطاعته، تركه وشأنه لا يابه به، ولا يعتنى بأمره، وكأنّ المراد بهذا الصنف

الحكام، الجائرون، والمراد بالصنف الثاني العلماء الضالون المضلون»[٥٧].

فالمقصودُ أنَّ اللهَ تركَهُ و نفسَهُ، لا يعصمهُ عن الذنوب و المعاصي، و اللهُ تعالى يكفي عبده المتوكل عليه في كل أَمرٍ توكلَ فيهِ، و هو تعالى يحبّ المتوكِلَ، فاذا أبغض عبدًا سلبَ منهُ التوكلَ، بل وكلَهُ إلى نفسهِ، و فوض أَمرَهُ إلى نفسهِ فيهلك، كما قال عليه السلام: (و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) فاذا انتفى التوكل من العبد انتقلت الكفاية من الله، فيكون العبد موصوفًا بهذهِ الأوصاف[٥٨].

فالتَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ الِاعْتِمَادُ، وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي الشُّرُوعِ فِي الفِعلِ معَ رَجاءِ السَّدادِ فيهِ مِنَ اللهَّ، وَهوَ شَأْنُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فهو علامة صدق الإيمان، وفيهِ ينظر إلى عظمة الله وقدرته واعتقادهِ الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنهُ، وهذا أدبٌ عظيمٌ مع الخالقِ يدلُّ على محبة العبد ربّهُ فلذلك أحبّهُ الله[٥٩].

على أنَّ التوكل لا يعني بالمرّة أنْ يتماهل الإنسان عن الأسباب الماديّة والوسائل العادية، إنّما يكون بعد الأخذ والاستعانة من جميعِ الإمكانات المتاحة لَهُ حتمًا.

المبحث الثاني: مسالكُ الاستدلالِ القرآنيّ.

في هذا المبحث سنحاول أنْ نقفَ على استدلالات القَزْوينيّ القُرآنية في المسالك والمداخل التي استشرفها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وتحصّل أنْ تكون هذه المسالك أربعة تمثلت بالمسلك العَقَديّ، والفقهيّ، والأخلاقيّ، واللغويّ.

أولًا: المسلكُ العقديّ

أ. لا يحدّه مكان ولا زمان:

ومِن الاستدلالات العَقَديّةِ فِي شرحِهِ لقولِ الإمام عليه السلام: (ومَنْ قالَ فيمَ فَقَدْ ضَمَنَهُ) بيّنَ القَزْوينيّ أنّ معناه أنّ مَنْ اعتقد وزَعَمَ أنَّ الله في شيءٍ فقد جَعَلَهُ جسمًا كائنًا في ظرفٍ ومكانٍ؛ ولأنَّ(في) للظرفية فالسؤال بها عن الشيء يقتضي أنّه حالٌ في ظرفٍ يتضمنه ويحتويه وهو من لوازمِ الجسميّةِ؛ وواقعُ الحالِ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى لا يشغلُهُ مكان، ولا يخلو منه مكان[٦٠]، واستدل لذلك بقولِهِ تَعَالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٦١].

ب. محيط بالأشياء كلها:

ومِنْ استدلالاتِهِ القرآنية في المسلك العقدي ما جاءَ في شرحِهِ لقولِ الإمام عليه السلام: (مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ) أشارَ السيِّد القَزْوينيّ إلى أنَّ الأشياءَ تُعرفُ باضدادِها إذا قلنا: فلانٌ مع فلانٍ فمعناهُ أنّه قرينهُ في المكانِ، ولكنَّ اللهَ تعالى مع كلِّ شيءٍ لا أنّه قرينهُ،إذْ ليست المعية هنا هي المقارنةُ أي حضور جسم عن جسم، أو حضور جسم في مكان، كما هو المتبادر من معنى المعية، بل معناه أنّه

محيطٌ بالأشياءِ، عالمٌ بها غيرِ غائبٍ عنها[٦٢]. واستدلَ لذلك بقولهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٦٣]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٦٤].

ج. علمه الأزلي بالمخلوقات:

ومِنْ استدلالاتِهِ القُرْآنية فِي المسلك العقدي في شرحه لقول الإمام عليه السلام: (عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا) أي كانَ اللهُ عزّ وجلّ عالمًا بالأشياءِ قبل وجودِها، فلم يزل الله عزّ وجلّ علمه سابقًا للأشياء، قديمًا قبل أنْ يخلقها[٦٥]، واستدل لذلك بقولهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦٨].

ظهر لنا أنَّ جُلَّ استدلالات القَزْوينيّ القرآنيّة في المسلك العقائديّ كانت في أصل التوحيد وأفعال الله تعالى وصفاتهُ، ولا مراء في ذلك فإنَّ الإمام علي عليه السلام يُعدّ رائد علم الكلام الإسلاميّ ولاسيّما في أصل التوحيد، إذْ استطاع أنْ يكشف لنا عن هذا الأصل كشفًا قيمًا، وأنْ يقدم لنا الخالق كما وصفه الخالق نَفْسُهُ.

ثانيًا: المَسْلَكُ الفِقْهيّ

أ. النسخ:

ومن استدلالات السيِّد القَزْوينيّ في المسلك الفقهي ما قاله في شرحه لقول الإمام عليّ عليه السلام: (وَبَيْنَ مُثْبَت في الكِتابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُوم في السُّنَّةِ نَسْخُهُ)، قال: «وهو ما كان ثابتًا في القرآنِ، ولكنه نسخ بالسنة النبوية كهذه الآية ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾[٦٩]، فمعناها أنَّ الزانيةَ تحبسُ في البيتِ إلى أنْ تموت وَلكنّها نُسخَت، إذا الزانيّة كانت ذاتُ بعلٍ تُرجم، وإنْ لم

تكن ذات بعلٍ تحدُّ وتجلدُ مئة جلدةٍ»[٧٠].

ب. التوبة قبل المنيّة:

وفي شرحه لقول الإمام علي عليه السلام: (أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ)، قال القَزْوينيّ: «إنّما تقبل إذا كانت الحياة باقية موجودة، فإذا أحس الإنسانُ بالموتِ وتابَ لا تقبل منهُ التوبةُ»[٧١]، واستدَلَ بقولِهِ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٧٢].

ثالثًا . المسلكُ الأخلاقيّ

أ. حُسْنُ الخُلُقِ:

وفي شرحِهِ لقول الإمام عليه السلام: (وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ المَوَدَّةَ)، قال القَزْوينيّ: «إنَّ كلَّ مَنْ حسن خُلُقُه، وتواضع للناس تدوم محبة الناس له؛ لأنَّ حسن الخلق سبب للتآلف، والتواضع ينتج المودة في القلوب، كما أنَّ التجبّر و التفرعن يورث التنفر و الانزجار»[٧٣].

واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٧٤].

ومعنى الآية الكريمة المستدل بها: أي ولو كُنْتَ فَظًّا جافيًا غَلِيظَ الْقَلْب قاسيه لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ولتفرّقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحدٌ منهم[٧٥].

هذه الآية المباركة تشير إلى واحدةٍ من المزايا الأخلاقية لرسول الله صلى الله عليه وآله ألا

وهي اللين مع الناس والرحمة بهم، وخلوه من الفظاظة والخشونة، ومورد الآية يتطلب – حتمًا – العفو والمغفرة واللطف واللين وهي من صفات القيادة التي تحلّى بها المصطفى صلى الله عليه وآله؛ من أجل نجاح مشاريعه وبرامجه المستقبلية، وألّا تتعرض إلى نكسات وهدر جهود[٧٦].

ولا يخفى أنّ هذا النص الذي استدلّ به القزوينيّ يمثل أمارة ومصداقًا من قوله تعالى: ﴿وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾[٧٧].

ب. لِسَانُ الصِّدْقِ:

وفي معرض شرحه لقول الإمام علي عليه السلام: (وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ: يُورِثُهُ غيرَهُ) استدل لشرحه بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، ثم بيّن معنى لسان الصدق قائلًا: «لسانُ الصدقِ هو الذكرُ الجميلُ، والحديثُ الحسنُ، يجعله اللهُ لعبدِهِ بسببِ الإحسانِ على الناسِ، وهذا الذكرُ الجميلُ يتركه الإنسانُ من بعدِهِ حتى يذكره الناس بالخيرِ، ويترحمون عليه ويذكرونه بالجميلِ خير وأَحسن لَهُ مِنْ أنْ يترك الإنسان الأموال لغيره، ويمنع عشيرته عنها»[٧٨].

ونستشرف أنَّ القَزْوينيّ قد استدلَّ على أنَّ الذكر الجميل، والفعل الطيب خير من المال الذي يورثهُ لغيره فينفدُ، في حين أنَّ الذكر والفعل الطيبين يبقيان خالدين، وهما منحةٌ إلهية وهبةٌ ربّانية يهبها الله لعبادِهِ الصالحين، وهي من المواهب والقدرات العقلية والمعرفية والجسمية والحسيّة.

ج. التَّقْوَى:

وفي معرض شرحه لقول الإمام عليه السلام: (أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ) أشار السيّد القَزْوينيّ إلى أنَّ الإنسان سيرحل من هذه الدنيا، وقد

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

أمر الله بالزاد كالمسافر الذي يحتاج إلى الزاد؛ لأنّه أحسن ذخيرة ليوم القيامة(٧٩)، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(٨٠).

لا مِرَاء أنَّ الآية المباركة تشير إلى مسألة معنوية هي زاد التقوى، وفيها توعية المسلمين على التزود بوقود الإيمان والتفكر بالله ﷻ والسعي في رضاه والخوف من عذابه سواءٌ في الحجّ أم في غيره(٨١).

وعود إلى قول أمير المؤمنين، فإنّنا نبصرُ بأمرين مهمين، الأول: الأمر بالرحيل من هذه الدنيا إلى دار الآخرة، والآخر: تبصرة العباد بلزوم التزوّد بالخوف من الله والسعي في رضاه في ظل الإتيان بالحسنات وترك السيئات.

د. الهُدَى بَعْدَ الضَّلَالَةِ

وفي معرض شرحه لقول الإمام عليه السلام: (فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ)

تتمثل الضلالة بالحياة الاجتماعية الفاسدة و الأخلاق الذميمة، و العادات الهمجية عند أهل الجاهلية مثل دفنهم البنات و هن أحياء بلا ذنبٍ و لا جرمٍ، و جرمها الوحيد أنّها أنثى(٨٢)، مستدلًا لذلك بقولِهِ تَعَالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٨٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(٨٤)، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٨٥).

استدلَّ القَزْوينيّ على قول أمير المؤمنين، الذي يصوّر نعمة الإسلام على الناس، إذْ هداهم من التيه والضَّلال والعمى، وأنقذهم من الجهالة في ظلّ

التحشيد الاستدلاليّ القرآنيّ على أفعال القوم من قتل الأنثى، والخوف من الفقر والعوز، فهي أفعال تدلُّ على سوء الظنّ بالله تعالى[٨٦].

رابعًا: المسلكُ اللّغويّ

أ. الضمير(بِنَا) في قولِ الإمام عليّ عليه السلام: (بِنَا اِهْتَدَيْتُمْ فِي اَلظَّلْمَاءِ):

و في معرضِ شرحِهِ لقولِ الإمام عليّ عليه السلام(بِنَا اِهْتَدَيْتُمْ فِي اَلظَّلْمَاءِ)، قال السيّد القَزْوينيّ: «والمقصود من ضمير(بنا) إمّا آل محمّد الأئمة الطاهرون عليهم السلام، أو الضمير راجع إلى نفس أَمير المؤمنين عليه السلام فقط، وإنّما أتى بلفظ الجمع للتعظيم كما هو شأن الأعاظم، قال الله العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٨٧]، والسبب في ذلك معلوم فإنّ عليّا عليه السلام هو المؤسسُ لأساسِ هذا الدين كما رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المشهور الصحيح أنّه قال: (ما قام واستقام الدين إلّا بسيف علي ومال خديجة)[٨٨]، فحقٌ لعليّ أنْ يفتخرَ ويخاطب المسلمين الذين هم رهائن مننه وخدماته في الحروب والغزوات»[٨٩].

وبالعودة إلى النص المبارك فإنَّ الضمائر(نا) ونحنُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ أنَّ الله عزّ وجلّ يريد نَفْسَه تبارك وتعالى، قال الواحديّ(ت ٤٦٨ هـ): «قال أهل اللغة: هذا من كلام الملوك؛ الواحد منهم إذا فعل شيئًا قال: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملوك في الخطاب، وإن انفرد بفعل الشيء قال: نحن فعلنا، فخوطبت العرب بما تفعل من كلامها»[٩٠].

ويبدو لنا أنَّ القَزْوينيّ استدل على هذا النص القرآنيّ المبارك لتقدير كلام الإمام عليّ عليه السلام في كون أئمة أهل البيت عليهم السلام مصابيح الهداية، وأنوار الرشاد مجاراةً لظاهر كلامه عليه السلام.

ب. معنى العصمة في قول الإمام علي(عليه السلام)،(وَ اِسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ).

ومن استدلالات القَزْوينيّ القرآنية في المسلك اللّغويّ ما استدل بهِ في شرحِهِ لقولِ الإمام علي(عليه السلام): (وَ اِسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ).

قبل النظر فيما قاله القَزْوينيّ في قول الإمام علي(عليه السلام) هذا، لابد أن نبين معنى العصمة في اللّغة: قال ابن منظور: «العِصْمةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: المَنْعُ. وعِصْمةُ الله عَبْدَه: أَنْ يَعْصِمَه مِمَّا يُوبِقُه. عَصَمه يَعْصِمُه عَصْمًا: منَعَه ووَقَاه.؛ أَيْ لَا مَعْصومَ إِلَّا المَرْحومُ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى النَسب أَيْ ذَا عِصْمةٍ، وَذُو العِصْمةِ يَكُونُ مَفْعُولًا كَمَا يَكُونُ فَاعِلًا، فمِن هُنَا قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ لَا مَعْصومَ»(٩١).

أمّا القَزْوينيّ فقد استدلّ لبيان معنى العصمة بالقرآن الكريم قال: «أي طلبًا للعصمة والحفظ من المعصية، كما قال تعالى حكايةً عن ابن نوح: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾(٩٢)، أي يحفظني إذْ العصمة بمعناها الأَعم والأَخص، لا تكون إلّا من الله تعالى، كما قال يوسف(عليه السلام) حين راودتُه امرأة العزيز ونسوة مصر ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٩٣) أي إنْ لم تدفع عني شر النسوة وحيلهن أقع في الخطأ والمعصية فينبغي للإنسان أنْ يسأل الله الحفظ من الوقوع في الخطأ والعصمة من ارتكاب المعاصي والذنوب»(٩٤).

حقًا وصدقًا على الإنسانِ أنْ يدعو الله(تعالى) ليل نهار صباحَ مساءَ أنْ يعينهُ ويهب له القوة ويزودهُ قدرةً وعقلًا وإيمانًا وتقوى وهي من أمارات ومصاديق الاستعصام بالله(عز وجل).

ج. دلالة الرياح في قول الإمام علي(عليه السلام): (وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ).

ولبيان دلالة قول الإمام علي(عليه السلام): (وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ)، استدل السيد القَزْوينيّ بهذه الآيات المباركات قال: «وإنّما قال(عليه السلام)نشر الرياح ولم يقل نشر الريح؛ لأنَّ الريحَ تستعمل في العذابِ، والرياح تستعمل في الرحمةِ كما قال تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾[٩٥]، ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٦] ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[٩٧] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[٩٨] إلى غير ذلك ويؤيد ذلك الحديث النبوي المروي أنّه(صلى الله عليه وآله) إذا هبت ريح قال: (اللّهُمَّ اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا)[٩٩]»[١٠٠].

نلحظ أنَّ القَزْويني استدلَّ على صحة استعمال الإمام علي(عليه السلام) لمفردة(رياح) التي هي جمع تكسير على وزن(فِعَال)، إذْ استعملت في الخير والعطاء في حين أنَّ كلمة(ريح) المفردة جاءت في الاستعمال القرآني في العذاب ونزول البلاء، ولم يكتفِ بذلك إذْ استدلَّ بكلام النبيّ محمّد(صلى الله عليه وآله) لتبيان صحة الاستعمال القرآني والعلويّ.

د. دلالة(زَعَمَ) في قول الإمام علي(عليه السلام): (حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ)

وفي معرض شرحه لقول الإمام علي(عليه السلام): (حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ)، قال القَزْوينيّ في دلالة(زعم) قال: «من جملة القواعد العربية أنَّ كلمة(زعم) تستعمل في الكلام الباطل، مثلًا إذا قال شخص لآخر: إنّي أحبك، فيعلم الآخر أنَّ المدعي لحبه كاذب مبطل فيقول لهُ: أ تزعم أنّك تحبني»[١٠١]، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَالله عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[١٠٢].

وما استدل به القزويني هو الصواب في دلالة(زَعَمَ)، قال الزمخشريّ(٥٨٣هـ):

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

«زعم فلان أنَّ الأمرَ كيت وكيت... إذا شككت أنَّهُ حقٌّ أو باطلٌ وأكثر ما يستعمل في الباطل، وزعموا مطيّة الكذب»(١٠٣).

وذكر ابنُ منظور دلالاتٍ لـ(زَعَمَ) منها الضمان، والوعد، والكفالة، والقول أكانَ صادقًا أم باطلًا، ويرى أنَّ اكثر ما يقال في القول المشكوك فيه غير المحقق وفي الحديث الذي لا سند لهُ ولا نبت فيهِ(١٠٤).

وعودٌ إلى النص القرآني المستدل بهِ، إذْ إنَّ زعمهم هذا لما كان باطلًا بالدلائل كان بمنزلة الشيء الذي يفرضُ وقوعهُ كما يفرض المستبعد(١٠٥).

هـ. دلالة خيرًا وشرًا في قول الإمام عليه السلام: (فَأَبْدِلنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي)

وفي شرحه لقول الإمام عليه السلام(فَأَبْدِلنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي) قال القَزْوينيّ: «فالظاهر مِنْ أَفعل التفضيل يقتضي أنَّ أهلَ الكوفةِ كانوا صلحاء أخيارًا، فسأل الإمامُ ربَّه أَنْ يعوضَه خيرًا منهم، أو أنَّ الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه كانَ والعياذُ بالله شرًا، فدعا الله أنْ يبدلهم شرًا منه، أي أكثر منه شرًا، وليس المقصود هذا»(١٠٦)، و استدل لذلك بثلاث آيات مباركات قائلًا: «وقد وردَ في القرآنِ الكريم مثل هذا التعبير بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١٠٧)، وقوله عز وجل: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾(١٠٨)،وقول يوسف عليه السلام: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(١٠٩).

نَلْمَحُ أنّ القزوينيّ قد استدلّ على قول أمير المؤمنين بثلاث آيات متكاملات من أجل الإمساك بدلالة(خَيْر) في النص العلويّ، والتي لم تتضمّن التفضيل وبيان مزية الشرف على المفضل عليه وإنْ اسْتُعْمِلَتِ صيغة أَفعل التفضيل؛لأنَّ قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لا يدلُّ

على أنَّ ما دعته إليه النسوة كانَ محبوبًا إليه والسجن أحب إليه بل صيغة أَفعَل التفضيل في هذه الموارد تجرّد عن الدلالة على الاشتراك مع التفضيل.

وكذلك قوله تعالى ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ فجهنم لا خير فيها أصلًا وكذا قوله تعالى﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

خاتمة البحث ونتائجه

في ظلّ التأمل ومعاودة النظر في الاستدلالات القرآنية لبيان مضمون الخطاب العلويّ في شرح القزوينيّ للنهج المبارك تحصل للباحِثينِ جملةً مِنْ النتائج يمكن فرشها تلخيصًا على النحو الآتي:

أولا: وجدَ الباحثانِ أنَّ الممارسةَ الاستدلاليّة التي مارسها السيّد القزوينيّ تجلّت في الحيز القرآنيّ؛ فقد وَعَى أَهمية التدليل والبرهان في كشف الألفاظ العلويّة، ولاسيّما التدليل القرآنيّ إذْ يحيلُ مضمون النص القرآنيّ على تكشيف المضمون العلويّ.

ثانيًا: اكتشف الباحثانِ أنَّ السيّد القزوينيّ حينما يستدل على دلالةِ الخطاب العلويّ فإنَّه يمنحُ النَّص القرآنيّ حركيّة تفاعلية في تبيان الدلالات المرادة في الخطابِ، هذه الحركية تتأتى من السياقات القرآنية التي تحيط بالنصّ المتسيِّد.

ثالثًا: تبين للباحثينِ في ضوء الوقوف على أنساق الاستدلال بالقرآن الكريم أنَّ السيّد القَزْوِينيّ يضعُ القرآنَ الكريمَ في مقدمةِ استدلالاتِهِ.

رابعًا: إنَّ الاستدلال بجزء من الآية هو الأعلى ورودًا من الاستدلال بآية كاملة والاستشهاد بمجموعة من الآيات.

خامسًا: ظهر من استدلال السيد القزويني بالقرآن الكريم أنّه يستعمل العبارات الآتية بوصفها تقنيات ومؤشرات تعريفية للاستدلال القرآني منها وقد صرّح القرآن الكريم بذلك بقوله تعالى، قال عزّ من قائل،

صريح الآيات المكررة في القرآن الكريم، كما قال تعالى حكاية عن...، وقد ورد مثل هذا بالقرآن الكريم، لأنَّ الله يقول وقوله القاضي على كل أحد، قال عزّ شأنه، كما ورد في القرآن الكريم قوله عزّ وجل، كقوله تعالى، وقوله عزّ شأنُهُ، وقوله عزّ اسمه، الحجة هنا هذه الآية الشريفة، كما قال عز من قائل، قال سبحانه، بتصريح من القرآن الحكيم.

سادسًا: استدل القزوينيّ في كثيرٍ مِنْ شرحهِ للألفاظ اللّغوية بالقرآن الكريم، وكشاهد على ذلك معنى(العصمة) إذْ استدل على دلالتها بقوله تعالى حكاية عن ابن نوح: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.

سابعًا: تبلور لنا أنَّ الاستدلالات القُرآنية في هذا الشَّرح القيم دليلٌ على حركية النص القرآنيّ وفعاليتهُ في النصوص الأخرى، إذْ يمثل الدليل والبرهان والحجة في البيان والتفسير.

ثامنًا: لا مِرْية أنَّ الاستدلال القُرآنيّ عند القَزْوينيّ يمثلُ ضربًا من ضروب الحِجاجات الإقناعية التي تتسمُ بالوثاقة والمصداقية والمنطقية ممّا يعطي للنّصّ العلويّ التأييد والثبات.

والحمد لله ربِّ العالمين

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

الهوامش

١. ينظر: معجم الخطباء، داخل السيد حسن: ٥١، معجم المطبوعات النجفية، محمد هادي الأميني: ٧٧، فِهرس التراث، محمّد حسين الهلالي الجلالي: ٢/ ٦٧١. العنايات الخالدة، جاسم الأديب: ٨١-٨٢.

٢. الكليات، الكفوي: ١/ ١١٤.

٣. القيامة: ١٧ – ١٨.

٤. يوسف / ١١١.

٥. النحل / ٨٩.

٦. الزمر / ٢٨.

٧. الإسراء / ١٠٦.

٨. الروم / ٥٨.

٩. الإسراء / ٧٨.

١٠. الواقعة / ٧٧.

١١. الأعلى / ٦.

١٢. مفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني: ١/ ٦٦٨-٦٦٩.

١٣. القيامة / ١٨.

١٤. البروج / ٢١-٢٢.

١٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩/ ٢٤٤.

١٦. المصدرُ نفسهُ: ٩/ ٢٤٥.

١٧. التعريفات، الجرجانيّ: ٩٨.

١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقانيّ: ٩/ ٢٤٥.

١٩. النحل / ١٨.

٢٠. ينظر، شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٢٩.

٢١. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): ٢٠/ ١٩٤.
٢٢. ينظر، شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٢٩.
٢٣. التبيان للطوسي: ٦/ ٢٩٧.
٢٤. تفسير الأمثل ٨/ ١٥٦..
٢٥. الإسراء: من الآية ٧.
٢٦. ينظر شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ١٨٢.
٢٧. التبيان للطوسي: ٦/ ٤٥١.
٢٨. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): ٢٠/ ١٢٦-١٢٧.
٢٩. الحجرات / من الآية ٩.
٣٠. ينظر: دعائم الإسلام: ١/ ٣٨٨، وشرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ٨٦.
٣١. مجمع البيان: ٩/ ٢٢٢.
٣٢. منتهى المطلب: ١٤/ ٥٥-٥٦، وينظر: السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي لإبن ادريس الحلي: ٣/ ٢٦-٢٧.
٣٣. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ٢٢/ ٥٥٨.
٣٤. الأنبياء / ٢٠.
٣٥. الفروق اللغويّة: ٩٧.
٣٦. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٥٣-٥٤.
٣٧. الأنبياء/ ٢٠.
٣٨. التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٣٧.
٣٩. الأسراء / ١٨.
٤٠. ينظر، شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ٢٣١.
٤١. التحرير والتنوير: ٦/ ٥٩.
٤٢. الاسراء / ١٩.
٤٣. ينظر، الميزان في تفسير القرآن: ١٣/ ٦٢-٦٣.
٤٤. الأمثل في تفسير كلام الله المنزّل ٨/ ٤٤٠.

٤٥. المائدة / ٢٧-٣٠.

٤٦. ينظر شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٢٠.

٤٧. ينظر، الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٥٣.

٤٨. ينظر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨/ ٣٩- ٤٢.

٤٩. الصف / ١٠-١١.

٥٠. ينظر شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٠٥.

٥١. التحرير والتنوير: ٢٨/ ١٩٤.

٥٢. ينظر الميزان: ١٩/ ٢٦٨-٢٦٩، والأمثل: ١٤ / ١٦٨-١٦٩.

٥٣. آل عمران /من الآية ٥٩.

٥٤. آل عمران / من الآية ٦٠.

٥٥. الطلاق / من الآية ٣

٥٦. المائدة / من الآية ٢٣.

٥٧. ينظر، شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ٢٨.

٥٨. توضيح نهج البلاغة، محمد حسين الشيرازيّ: ١/ ١٠٨.

٥٩. ينظر، التحرير والتنوير: ٥/ ١٥١- ١٥٢.

٦٠. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٣٧.

٦١. الحديد / من الآية ٤.

٦٢. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٣٨.

٦٣. الحديد / من الآية ٤.

٦٤. طه / من الآية ٤٦.

٦٥. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ٤٤-٤٥.

٦٦. النحل / ٥٨-٥٩

٦٧. الأنعام / من الآية ٢٨.

٦٨. البقرة / ٣٠

٦٩. آل عمران / من الآية ١٥٩.

٧٠. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٠٥.
٧١. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ١٨٢.
٧٢. النساء / ١٧-١٨
٧٣. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ٩٩-١٠٠.
٧٤. آل عمران / ١٥٩.
٧٥. الكشاف للزمخشري: ١/ ٤٣١.
٧٦. ينظر، الأمثل: ٢/ ٤٧٤-٤٧٥.
٧٧. القلم / ٤.
٧٨. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ٩٩.
٧٩. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ ٢/ ١٨٤.
٨٠. البقرة / ١٩٧.
٨١. ينظر،الأَمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١/ ٤٨٢.
٨٢. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ ١/ ٤٤-٤٥.
٨٣. التكوير: ٩.
٨٤. الإسراء / ٣١.
٨٥. النحل / ٥٨-٥٩.
٨٦. ينظر، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ١/ ١١٦.
٨٧. الحجر / ٩.
٨٨. بحار الأنوار: ١٩/ ٦٣، تاريخ الفقه الجعفري: ٦٣.
٨٩. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٠٧.
٩٠. التفسير البسيط: ١٢/ ٥٤٦- ٥٤٧.
٩١. ينظر، لسان العرب: ١١/ ٥٦١.
٩٢. هود / من الآية ٤٣.
٩٣. يوسف / ٣٣.
٩٤. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٠٧.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع (٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

٩٥. النساء/ ١٧.

٩٦. الأحقاف/ من الآية ٢٤.

٩٧. الروم / ٤٦.

٩٨. الحجر/ ٢٢.

٩٩. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٢٧٢.

١٠٠. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ٢/ ١١٧.

١٠١. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٧٣.

١٠٢. الجمعة / ٦-٧.

١٠٣. أساس البلاغة: ١/ ٤١٥ (مادة زعم).

١٠٤. ينظر، لسان العرب: ٢/ ١٦٦٨-١٦٦٩، مادة(زَعَمَ).

١٠٥. ينظر،التحرير والتنوير: ٢٨/ ١٩٣، وينظر تفسير القرآن الكريم، عبدالله شبر: ٥١٧.

١٠٦. شرح نهج البلاغة للقزوينيّ: ١/ ١٧٣.

١٠٧. فصلت / من الآية ٤٠.

١٠٨. الفرقان /من الآية ١٥.

١٠٩. يوسف/ من الآية ٣٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ.

٢. الأَمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازيّ،ط١، الناشر مدرسة الأمام على بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢٦ هـ.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي،(ت ١١١١ هـ)، تحقيق: محمد باقر بهبودي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ –١٩٨٣ م.

٤. تاريخ الفقه الجعفريّ، هاشم معروف الحسنيّ، قدّم له محمد جواد مغنية، دار النشر للجامعيين،(د.ت).

٥. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ،(ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان – بيروت، ١٢٠٩ هـ.

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،(ت ١٩٧٣ م)، ط١، دار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.

٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي،(ت ١٤٢٦ هـ)، ط١، الناشر مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني ١٤١٦ هـ.

٨. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني،(ت ٨١٦ هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن المرعشيّ، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٩. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي،(ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، دار العماد للدراسات والبحوث القرآنية، دمشق، ٢٠١٣هـ.

١٠. تفسير القرآن الكريم، السيّد عبدالله شبر(ت ١٢٤٢هـ)، راجعه حامد حفني داود، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ١٩٧٧م.

١١. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازيّ،(ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ.

١٢. توضيح نهج البلاغة، محمد الحسيني الشيرازيّ(ت ١٤٢٢هـ)، دار تراث الشيعة، طهران، ايران، د. ت.

١٣. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمّد حسن النجفي(صاحب الجواهر)(ت ١٢٦٦ هـ)، تحقيق وتعليق: عبّاس القوچاني، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٨ م.

١٤. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، أبو جعفر محمّد بن منصور بن إدريس الحلّي(ت ٥٩٨ هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ هـ.

١٥. شرح نهج البلاغة، السيد محمّد كاظم القزوينيّ الحائريّ، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٥٩م.

١٦. العنايات الخالدة، جاسم الأديب، منشورات دار العلوم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

١٧. فهرس التراث، محمّد حسين الحسينيّ الجلاليّ، ط١، مطبعة نكارش، قم، إيران، ١٤٢٣هـ.

١٨. الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ، (ت٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ.

١٩. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، دار النشر مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٠. لسان العرب، محمّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢١. مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل أمين الدين الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ)، ط١، نشر دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٢. معجمُ الخطباء، داخل السيد حسن، منشورات المؤسسة العربية للطباعة، والاعلام، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٢٣. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم إيران، ١٤٣١هـ.

٢٤. معجمُ المطبوعات النجفية، محمّد هادي الأمينيّ، منشورات مطبعة الآداب، النجف، العراق، ١٣٨٥هـ.

٢٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الاصفهانيّ (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٦. مناهل في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت ١٣٦٧ هـ)، تحقيق فواز أحمد الزمرلي، ط١، دار الكتب العربية، بيروت لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٧. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف الحلّي(العلّامة الحلّي) (ت ٧٢٦ هـ)، تحقيق: قسم الفقيه في مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٢ هـ.

٢٨. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائيّ،(ت١٤٠٢ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.(د. ت)

٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير(ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط٤، مؤسسة اسماعليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، ١٣٦٤ هـ.